

معه: إذ رأته «صباح يوم مهتاجاً هياجاً شديداً، ويردد اشعاراً حماسية حربية، فخشيت من مغبة هذا الهياج ونتيجته»، وقالت له: «ان الطرق السلمية هي خير طريق يمكن ان يسلكه شعب اعزل كشعبنا، لأن القوة يجب ان تجابهها قوة مثلها، ونحن لا قوة لدينا ولا مال، فالأحسن ان نسعى الى حقنا بالطرق السلمية». وتصف حالة أبيها قائلة: «ولكن الشهيد لم يتركني أتمم حديثي، بل صاح بصوته الجهوري: أصمّتي ياميمنة. ثم أطرق برهة رفع بعدها رأسه وأنشد: وهو ينظر إليّ نظرة ذات معنى:

واعلم بأن عليك العار تلبسه من عضة الكلب لا من عضة الأسد^(٣٥) وفي اطار تحرير الدين من الخزعبلات والشعوذة والتصوف، هاجم الشيخ القسام القاديانيين، «وصفهم بالكفرة»^(٣٦)، وكان شيخهم «بحرّم الجهاد ومدعوماً من الانكليز»^(٣٧). وهم جماعة دينية جاءت من باكستان والهند واستوطنت جبل الكرمل. وعندما قام زعيمهم القادياني بزيارة دمشق، طعنه ثائر سوري بسكين «ولكن الضربة لم تكن قاتلة»^(٣٨).

كما هاجم الشيخ القسام البهائيين الذين نقلوا «مقام الباب، أصل ديانتهم»^(٣٩)، من بلاد فارس الى منحدر جبل الكرمل في حيفا عام ١٩٠٨. وكان الصراع بين طرفي الديانة في حيفا وعكا، أشبه بصراع الأمراء المدعومين من الاحتلال، فعباس «أفندي»، كبير البهائية في عكا «لم يترك وجيهاً الا وأهداه سجّادة فاخرة أو عباءة عجمية»^(٤٠).

وكان القسام يعيب على الشيخ صالح العشماوي* تزمته وطريقته الصوفية؛ إذ كان اتباعه «يحملون المسابح الطويلة في رقابهم ويطلقون لحاهم»^(٤١)، مع أن العشماوي كان يدعو الى الجهاد ضد الانتداب والصهيونية. وحرّم العشماوي التدخين على أتباعه، وأفتى بمنع الأعراس تحت حجة أن الطبل يجمع الشياطين! وعندما سؤل القسام أجاب: «اعملوا عرساً واعزموني، فحتى الفرح يريدون اغلاقه؟ اذا لم يتنفس الشباب فكيف سيتحملون المسؤوليات الجادة؟»^(٤٢). وللتدليل على جمود العشماوي، قيل انه التقط السيجارة من يد الضابط الانكليزي الذي داهم بيته على رأس قوة من البوليس، وربما في المرحاض قائلاً: «بيتي ليس بيتاً للنجاسة»^(٤٣)، بينما كان الشيخ عز الدين القسام يدخن. وجاءت الفرصة لاختبار العشماوي وجماعته في عام ١٩٣٦، عندما طلبوا أسلحة من القساميين ليشاركوا في الجهاد «فأحضرناها لهم، ووضعناها في بلد الشيخ (حوّاسه)، بجانب جامع الحاج عبد الله، فخافوا من نقلها»^(٤٤).

وفي الثلاثينات؛ حيث شاعت حوادث قطع الطرق، وظهر عصابات السلب، برز اسم «أبو جلده»، واحيط بهالة من التقدير، كتعبير عن الحس الشعبي ورغبته في مقاومة الانتداب البريطاني. وفي عام ١٩٣٢، سؤل الشيخ القسام عن رأيه في أهل الشعراوية وجبل نابلس، الذين يقطعون الأشجار ويسمون الحيوانات، وينعتهم الناس بالحرامية وقطاع الطرق، فأجاب: «دعهم يعملون، لأن في عملهم رجولة، سنحولها في يوم من الأيام الى جهاد. ومادام المستعمر يرغب في اماتة نفوسنا، فان هؤلاء أقرب الى الله، والى حب الجهاد من المستكينين»^(٤٥). وبذلك، سبق الشيخ عز الدين القسام المؤرخ السوفياتي

* سوري من تل شهاب وأمّه من الطنطورة.